تمهيد

«حوار القرآن لأصحاب الحضارات»

١- معنى الحوار.

٢- الحوار ومرادفاته والفرق بينهما.

٣- معنى القرآن.

٤- معنى أصحاب الحضارات.

٥- تاريخ التحاور والتعامل مع أصحاب الحضارات.

obeikandi.com

obeikandl.com

أولا: معنى الحوار

١ـ معنى الحوار في اللغة:

عند النظر في معاجم اللغة العربية نجد للحوار معاني كثيرة مدارها حول معنى واحد: الرجوع والمراجعة والرد والمجاوبة في الكلام والنقصان بعد الزيادة.

والحوار مأخوذ من الحور، ومنه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [الانشقاق: ١٤] أي يرجع إلى ربه. وفى الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «**ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه**»[(١)]، ومعنى «حار عليه» أي رجع عليه الكفر، فباء وحار ورجع بمعنى واحد[(٢)]. والحور هو النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال.

روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ كان إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال، ومعنى «الحور بعد الكور» أي الرجوع من الزيادة إلى النقصان، أي الرجوع من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية[(٣)].

وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم: «حار يحور حورا: رجع ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [الانشقاق: ١٤]، حاوره محاورة: راجعه في الكلام، وتحاورا تحاورا: تراجعا وتجاوبا ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ [الكهف: ٣٤]، ﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ [المجادلة: ١]، الحواري: الخالص المنقى من كل شيء وشاع استعماله في الخلصاء للأنبياء ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤]، ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ [المائدة: ١١١]»[(٤)].

وقال ابن فارس: «﴿ حُورٌ ﴾ الحاء والواو والراء، ثلاثة أصول أحدها لون، والآخر الرجوع،

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، رقم (٦١)، ورواه أحمد في مسند أبي ذر الغفاري رقم (٢٢٠٨٢).

(٢) مسلم بشرح النووى (٢/ ٥).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى (٩/ ١١١-١١٢)، النسائي باب الاستعاذة من الحور بعد الكور رقم (٥٥١٣).

(٤) معجم ألفاظ القرآن (١/ ٣٠٦)، ط: مجمع اللغة العربية.

والثالث أن يدور الشيء دورا. وأما الرجوع، فيقال حار، إذا رجع. ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾».

والعرب تقول: «الباطل في حور» أي رجع ونقص، وكل نقص ورجوع حور. والحور: مصدر حار يحور حورا: إذا رجع، تقول: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» وهو النقصان بعد الزيادة»[١].

قال ابن منظور: «كلمته فما رجع إلى حَوارًا، وحِوارا، ومحاورة، وحويرا، ومحاورة: أي جوابا.

والاسم من المحاورة: الحوير، تقول سمعت حويرهما وحوارهما، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور والتجاوب»[٢].

قال الزبيدى: «والمحاورة: المجاوبة، ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة، وتحاوروا: تراجعوا في الكلام بينهم»[٣].

وقال في القاموس المحيط: «والمحاورة والمحورة: الجواب كالحوير والحوار، والحيرة والحويرة ومراجعة المنطق، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم، والتحاور التجاوب»[٤].

وفي التبيان في غريب القرآن: «يحاوره يخاطبه يقال: تحاور الرجلان إذا رد كل منهما على صاحبه والمحاورة: الخطاب من اثنين فما فوق ذلك»[٥].

وفي لسان العرب: «قال أبو عبيد: سئل عاصم عن هذا فقال: ألم تسمع إلى قولهم حار بعدما كان يقول: إنه كان على حالة جميلة فحار عن ذلك أي رجع. قال الزجاج: وقيل معناه: نعوذ بالله من الرجوع والخروج عن الجماعة بعد الكور، معناه بعد أن كنا في الكور، أي في الجماعة، يقال: كار عمامته على رأسه إذا لفها وحار عمامته إذا نقضها، وفي المثل: حور في محارة معناه نقصان في نقصان ورجوع في رجوع يضرب للرجل إذا كان أمره يدبر، والمحار المرجع

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة حور، (ص١١٥-١١٧).

(٢) لسان العرب، مادة حور (٤/ ٢١٨).

(٣) تاج العروس، مادة: حور (٣/ ١٦٢).

(٤) القاموس المحيط -مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادى المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت. لبنان «مادة حور».

(٥) التبيان في غريب القرآن (ص٢٧٤).

قال الشاعر:

نحن بنو عامر بن ذبيان والناس كهام محارهم للقبور[١]

وقال سبيع بن الخطيم[٢]: وكان بنو صبح[٣] أغاروا على إبله فاستغاث بزيد الفوارس الضبي فانتزعها منهم فقال يمدحه:

لولا الإله ولولا مجد طالبها للهوجوها كما نالوا من العير

واستعجلوا عن خفيف المضغ فازدردوا والذم يبقى وزاد القوم في حور[٤]

اللهوجة: أن لا يبالغ في إنضاج اللحم، أي: أكلوا لحمها من قبل أن ينضج وابتلعوه. وقوله: والذم يبقى وزاد القوم في حور. يريد الأكل يذهب والذم يبقى.

قال ابن الأعرابي[٥]: فلان حور في محارة، قال: هكذا سمعته بفتح الحاء يضرب مثلا للشيء الذي لا يصلح أو كان صالحا ففسد، والمحارة المكان الذي يحور أو يحار فيه، والباطل في حور أي في نقص ورجوع، وإنك لفي حور وبور أي في غير صنعة ولا إجادة.

قال ابن هانئ[٦]: يقال عند تأكيد المرزئة[٧] عليه بقلة النماء ما يحور فلان وما يبور، وذهب

---

(١) دواوين الشعرالعربي على مر العصور (٩/ ٢٢٩)، رقم القصيدة (١٤١٩٤).

(٢) سبيع بن الخطيم التيمي تيم عبد مناة بن أد بن طابخة من بطن منهم يقال له بنو رفاعة. شاعر محسن، المؤلف والمؤتلف باب الخاء أوائل الأسماء (١/ ٤٨).

(٣) بنو صبح من ميمون من بني سالم من حرب وكانوا يسكنون العرج والقاحة وجبل ثافل ويسمى جبل صبح ووادي يليل عند بدر، وواحدهم صبحي، كتاب معجم قبائل المملكة العربية السعودية حرف الصاد (١/ ٦٨).

(٤) المؤتلف والمختلف باب الخاء في أوائل الأسماء (١/ ٤٨).

(٥) ابن الأعرابي صاحب اللغة. وهو أبو عبد الله محمد بن زياد. توفي بسامرًا وله ثمانون سنة. وكان إليه المنتهى في معرفة لسان العرب، كتاب العبر في خبر من غبر باب سنة ٢٣٢هـ (١/ ٧٧).

(٦) هو هانئ بن الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن محمد بن هانئ اللخمي القاضي أبو يحيى، قال ابن الزبير عنه كان من أهل المعرفة بالفقه والأدب والنحو مشاركًا في الحديث والأصول والطب، مات في رمضان سنة ٦١٤هـ.

(٧) المَرْزِئةُ والرَّزِيئةُ المُصِيبةُ والجمع أَرْزاءٌ ورَزايا وقد رَزَأْتُهُ رَزِيئةٌ أي أَصابته مُصِيبةٌ وقد أَصَابَه رُزْءٌ عظيم

فلان في الحَوار والبوار بفتح الأول وذهب في الحور والبور أي في النقصان والفساد، ورجل حائر بائر وقد حار وبار والحور الهلاك وذلك في النقصان والرجوع، والحور ما تحت الكور من العمامة لأنه رجوع عن تكويرها، وكلمته فما رجّع إلي حَوارا وحِوارا ومحاورة وحويرا ومحُورة بضم الحاء بوزن مشورة أي جوابا، وأحار عليه جوابه رده، وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة والاسم من المحاورة الحوير تقول: سمعت حويرهما وحوارهما والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب، وتقول: كلمته فما أحار إلي جوابا وما رجع إلي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا أي ما رد جوابا، واستحاره أي استنطقه، وفي حديث علي كرم الله وجهه: يرجع إليكما أنباكما بحور ما بعثتما به، أي بجواب ذلك، يقال: كلمته فما رد إلي حورا أي جوابا، وقيل: أراد به الخيبة والإخفاق، وأصل الحور الرجوع إلى النقص، ومنه حديث عبادة[١]: يوشك أن يرى الرجل من ثبج[٢] المسلمين قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبدأه لا يحور فيكم إلا كما يحور صاحب الحمار الميت، أي لا يرجع فيكم بخير ولا ينتفع بما حفظه من القرآن كما لا ينتفع بالحمار الميت صاحبه، وفي حديث سطيح[٣]: «فلم يحر جوابا» أي لم يرجع ولم يرد، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره والمحورة من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة كالمحورة»[٤].

=

وفي حديث المرأة التي جاءت تسأل عن ابنها إن أُرْزَأ ابني فلم أُرْزَأْ حَيايَ أي إنْ أُصِبْتُ به وفَقَدْتُه فلم أُصَبْ بِحَيايَ والرُّزْءُ المُصِيبةُ بفَقْد الأَعِزَّةِ وهو من الانْتِقاصِ لسان العرب (١/ ٨٥).

(١) رواه أحمد في مسند شداد بن أوس (٢٨/ ٣٦٣)، مجمع الزوائد باب ما جاء في الرياء رقم (١٧٦٥١)، (١٠/ ٣٧٨).

(٢) ركب ثبج البحر، ومضى ثبج الليل، وهي أوساطها، أساس البلاغة (١/ ٤٤)، وقال ابن الأعرابي: ثبج كل شيئ معظمه ووسطه وأعلاه، كتاب المحكم والمحيط الأعظم مادة «ث ب ج»، (٣/ ٢٨٢).

(٣) سطيح الكاهن الذيبي من آل ذيب بن حجن أول رؤيا كسرى بجمود وما صاحبها من أحداث لرسول كسري فلم يحر جوابا، والحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة باب ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفه، رقم (٤٣)، (١/ ٥٤).

(٤) لسان العرب (٤/ ٢١٨)، مادة حور.

وفيه أيضا: «قال ابن جني: وقد حرر هذا الموضع وأوضحه عنترة بقوله في وصف فرسه:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى أو كان يدري ما جواب تكلمي[١]

وقد فسر عنترة شكوى فرسه بقوله: لو كان يدري ما المحاورة اشتكى»[٢].

وفي تفسير القرطبي قوله تعالى: «﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾: أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب، ويقال: كلمته فما أحار إلي جوابا وما رجع إلي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا أي ما رد جوابا»[٣].

ومما سبق يتضح لنا أن الحوار والمحاورة تطلق على معان عدة هي:

١. الرجوع والمراجعة عن الشيء وإليه.

٢. النقصان بعد الزيادة، وهو رجوع عن الزيادة إلى النقصان.

٣. المجاوبة في الكلام ومراجعة النطق.

والمعاني الثلاث للحوار والمحاورة لا تخرج عن الرجوع والمراجعة، فالنقصان بعد الزيادة معناه الرجوع عن الزيادة إلى النقصان.

والمجاوبة في الكلام وفى النطق: معناها إرجاع الجواب إلى المحاور، أو رده على المتكلم بكلام يماثله.

وإذا كان معنى الحوار يدور على الرجوع والمراجعة فإنه لا يتصور وجوده إلا من طرفين على الأقل، يتبادلان الحديث ويتناوبان الكلام، يتكلم أحدهما فيجيبه الآخر.

وبذلك يكون المقصود بالحوار والمحاورة في اللغة: هو تداول الحديث، وتناوب الكلام

---

(١) لسان العرب (١١/ ٥٧٣) وفي رواية أخرى قال عنترة بن شداد العبسي في وصف فرسه:
فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي، كتاب جمهرة أشعار العرب (١/ ٥١).
(٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، (١١/ ٢٣) بتصرف.
(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٤٠٣).

بين طرفين فأكثر في موضوع معين.

٢ـ معنى الحوار اصطلاحا:

إن المتتبع لمعنى الحوار في الاصطلاح يجد أنه لا يكاد يخرج عن معناه اللغوي، ومن أهم هذه التعريفات ما يلي:

١. الحوار: عبارة عن محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر[١].

٢. الحوار هو: مراجعة الكلام وتبادله بين طرفين متخالفين في وجهات النظر، ينتصر كل منهما لرأيه، ويقدم دليله على معتقده، رغبة في أن يظهر الحق لأحدهما، ويلتقى الطرفان على رأى واحد يجمعهما[٢].

٣. الحوار: عبارة عن مسار سجالى، ووسيلة لكشف الوجود بالخطاب العقلي، ينطلق من الرغبة إلى المعرفة الموصلة إلى جوهر[٣].

٤. الحوار هو المناقشة بين الطرفين أو أطراف بقصد تصحيح كلام أو إظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول أو الرأي على اختلاف وسائله[٤].

---

(١) الحوار الإسلامى المسيحى للأستاذ/ بسام داود عجك (ص٢٠).

(٢) الحوار بين الجماعات الإسلامية لفضيلة الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير (ص١٣).

(٣) معجم المصطلحات الفلسفية للدكتور/ خليل أحمد خليل (ص٦٨).

(٤) أصول الحوار للشيخ/ صالح بن حميد.

التعريف المقترح للحوار:

بناء على ما سبق من تعريفات وبناء على ما هو آت من بيان لأركان الحوار، يمكن صياغة تعريف جديد للحوار فأقول: «الحوار هو حديث بين طرفين أو أكثر، للوصول للحق فيما اختلفوا فيه».

فقولنا: حديث بين طرفين أو أكثر: يشمل شخصين أو أكثر، أو مجموعتين أو أكثر، ويخرج الطرف الواحد سواء كان شخصًا واحدًا، أو مجموعة واحدة.

وقولنا: للوصول للحق: يخرج به كل ما لا يقصد به الوصول للحق، مما لا قصد له، وكذلك ما قصد به الوصول إلى باطل، ومثل ذلك ما قصد به مغالبة الخصم فكل ذلك ليس حوارا بل هو من الجدل المذموم.

وقولنا فيما اختلفوا فيه: يخرج به ما اتفقت وجهات النظر فيه.

ثانيًا: الحوار ومرادفاته والفرق بينهما:

توجد مصطلحات عدة لها صلة بالحوار، يقتضى الحال ذكرها، مع بيان معانيها في اللغة والاصطلاح، وإيضاح وجه الصلة بينها وبين مصطلح الحوار، وإظهار الفروق بينها وبين الحوار. وأهم المصطلحات التي لها صلة بمصطلح الحوار هي:

الجدل، المناظرة، المحاجة، والمخاصمة، اللجاج، المماراة، المناقشة، المساءلة، المكابرة، المعاندة، المنازعة، المماحكة، وغيرها نكتفي بالكلام على مجموعة منها خشية أن يطول البحث في هذا التمهيد.

١ - معنى الجدل:

معنى الجدل في اللغة: مأخوذ من جدَل يَجدِل الحبل: أى أحكم فتله[١].

قال ابن منظور: «الجدْل: شدة الفتل، وجَدَلْت الحبل أَجدِله جدْلًا إذا شددت فتله وفتلته فتلًا مُحكمًا، ومنه قيل لزمام الناقة الجديل. قال ابن سيده: جَدَل الشئ يجدُلُه ويجدِله جدْلًا أحكم فتله، ومنه جارية مجدولة الخلق حسنة الجدْل. والجديل: الزمام المجدول من أَدم، ومنه قول امرئ القيس:

وكشحٍ لطيف كالجديل مُخصَّر وساقٍ كأنبوب السقيِ المذلل[٢]

والجَدَالة: الأرض لشدتها وقيل هى أرض ذات رمل دقيق.

قال الراجز: قد أركب الآلة بعد الآلة وأترك العاجز بالجدالة[٣].

---

(١) القاموس المحيط مادة جدل (ص١٢٦١).

(٢) هذا البيت من معلقة امرئ القيس كتاب جمهرة أشعار العرب (١/ ٣٠)، كتاب خزانة الأدب (٣/ ٤٨٦).

(٣) هذا البيت لأبي زيد قاله ابن قتيبة ونسبه لأبي قروده الأعرابي ونقل صاحب كتاب اتفاق المباني وافتراق المعاني أن البيت هو:

قد أركب الآلة بعد الآلة وأحمل الحالة بعد الحالة. وأترك العاجز بالجدالة منعفرًا ليس له محالة، والآلة السرير أو ما يحمل علية الميت، والجدالة الأرض، ومنعفرا أي معفر يعلوه التراب.

والجدل: الصرع وتجدل: صرعه على الجَدَالة»[١].

قال إمام الحرمين[٢]: «إن قلنا: إنه مأخوذ من الفتل، كقولهم: حبل جديل، فيكون ذلك واقعًا بين طاقى الحبل، فقيل: يقع بين الخصمين جدال لأن كل واحد منهما يفتل صاحبه عما يعتقده إلى ما هو صائر إليه.

وإن قلنا: إنه فى اللغة مأخوذ من الضرب بالأرض بالمصارعة، يقال: جدلته فانجدل وتجدل، إذا ضربته على الجدالة، وهى الأرض المطمئنة الصلبة، المحكمة وجهها، فيكون كل واحد من الخصمين يروم غلبة صاحبه بإسقاط كلامه بتقوية كلام نفسه عليه، كالمتصارعين يروم كل إسقاط صاحبه بغلبته وقوته عليه»[٣].

قال ابن منظور: والجدل: «اللدد فى الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالًا. ورجل جدِل ومجدال: شديد الجدل. ويقال جادلت الرجل فجدلته جدْلًا أى غلبته. ورجل جدل إذا كان أقوى فى الخصام. وجادله أى خاصمه مجادلة وجدالًا، والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة، وفى الحديث: «**ما أُوتى الجدل قوم إلا ضلوا**» وفي رواية: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**»[٤]، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والمراد به فى الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا إظهار الحق فإن ذلك محمود لقوله عز وجل: ﴿**وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥]»[٥].

---

(١)لسان العرب لابن منظور (٢/ ٢١١-٢١٢)، ط دار إحياء التراث العربى.

(٢) إمام الحرمين هو الفضيل بن عياض الامام القدوة شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي المروزي شيخ الحرم سكن مكة وكان إماما ربانيا صمدانيا قانتا ثقة كبير، من كتاب تذكرة الحفاظ الطبقة السادسة (١/ ٢٤٥).

(٣) الكافية في الجدل (ص١٩) - إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى – دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) رواه الترمذي عن أبي أمامه في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزخرف، (١٢/ ٧٢) حديث رقم (٣٥٦٢)، وقال حسن صحيح، ورقم (٥٠) في مقدمة ابن ماجة، باب اجتناب البدع والجدل (١/ ٥٨)، ورواه أحمد في مسنده رقم (٢٢٨٢١)، ورقم (٢٢٨٦١)، ورواه الحاكم في المستدرك (ج٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التعليق على التلخيص: صحيح.

(٥) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٢١٢)، مادة جدل.

وفى المصباح المنير: ويقال جَدَل الرجل جَدْلًا فهو جَدِل: إذا اشتدت خصومته.

ويقال: جادل مجادلة وجدالًا: إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق[١].

وخلاصة المعنى اللغوى للجدل أنه: اللدد فى الخصومة والقدرة عليها وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام، كما ذكره ابن فارس فى مقاييس اللغة بقوله «الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشئ فى استرسال يكون فيه. وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام»[٢].

الجدل اصطلاحًا:

الجدل فى الشرع جاء على معنيين، أحدهما محمود وهو ما كان فى تقرير الحق، وباستعمال الأدب، قال تعالى: ﴿ **وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥]، والثانى مذموم وهو ماكان بسوء أدب، أو بجهل، أو فى نصرة باطل قال تعالى: ﴿ **وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ** ﴾ [غافر: ٥].

وقد عرف الجدل بعدة تعريفات منها:

قال النووى رحمه الله: «الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة وتكون بحق وبباطل، وأصله الخصومة الشديدة، ويسمى جدلا لأن كل واحد منهما يُحكم خصومته وحجته إحكامًا بليغًا على قدر طاقته تشبهًا بجدل الحبل وهو إحكام فتله، يقال جادله يجادله وجدالا»[٣].

قال ابن سينا[٤]: «أما المجادلة فهى مخالفة تبغى إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور»[٥].

---

(١) المصباح المنير مادة جدل (ص١٢٨).

(٢) القاموس اللغة لابن فارس (١/ ٤٣٣).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٤٨).

(٤) ابن سينا هو: أبو علي بن سينا الفيلسوف المشهور صاحب كتاب المنطق وكتاب الإشارات والتنبيهات.

(٥) الشفاء: كتاب الجدل (١/ ٢٣).

قال صاحب المصباح المنير[١] بعد أن ذكر المعنى اللغوى للجدل: «ثم استعمل على لسان حملة الشرع فى مقبلة الأدلة لظهور أرجحها»[٢].

قال الجرجانى[٣]: «الجدل هو عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها»[٤].

قال أبو البقاء[٥]: «الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره»[٦].

قال إمام الحرمين: «إنه إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافى بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة»[٧].

وبعض أهل العلم أطلق الجدل وأراد به آداب الاستدلال والمعارضة كابن خلدون حيث قال: «إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها إلى حفظ رأى أو هدمه كان هذا الرأى من الفقه أو غيره»[٨].

قال إمام الحرمين: «اختلفت عبارات العلماء فى حده فذهب بعض المتأخرين إلى أن حده: هو دفع الخصم بحجة أو شبهة. وبه قال على بن حمزة وهذا خطأ؛ فإن مَن ينقطع فى مكالمة خصمه كان مناظرًا، وإن لم يدفع خصمه بحجة ولا بشبهة. وقد تبتدئ الخصم بحجة أو شبهة فيسكت وينقطع من تريد مناظرته؛ فلم يكن الدفع له مناظرة، ولا المدفوع مناظرًا للدافع».

---

(١) صاحب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي هو أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي.

(٢) المصباح المنير (ص١٢٨).

(٣) الجرجاني هو: مجد الإسلام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ولد سنة ٤٠٠هـ - ت٤٧١هـ).

(٤) التعريفات للجرجانى (ص٦٦)، ومحيط المحيط (١/ ٢٢٣).

(٥) أبو البقاء هو: محب الدين عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت: ٦١٦هـ)

(٦) كتاب الكليات لأبى البقاء (ص١٤٥).

(٧) الكافية في الجدل (ص١٩).

(٨) المقدمة لابن خلدون (ص٢٦٢).

ومنهم من قال: حده أنه تحقيق الحق، وتزهيق الباطل. وهذا اعتزاز بعبارة ليس فيها معنى المناظرة؛ لانفراد الواحد بتحقيق الحق، وتزهيق الباطل، وقد لا يحقق الحق بنظره، ولا يزهق الباطل، ويسمى مجادلا. وكذلك المبطل الذاهب فى جميع نظره عن الحق يسمى: مجادلا ومناظرًا وإن لم يوجد منه تزهيق الباطل، وتحقيق الحق.

ومنهم من قال: هو نظر مشترك بين اثنين. وهذا باطل؛ لأنهما يشتركان على التعاون والتوافق فيه وكل واحد على الانفراد ينظر فيه.

ومنهم من قال: هو طلب الحكم بالفكر مع الخصم. وهذا أيضًا لا يصح؛ لأن كل واحد منهما مع صاحبه يطلب الحق لا بالمناظرة أو على طريق المعاونة والموافقة ولا يكونان مناظرين[١].

وبعض السلف استعمله على معنى خاص لاسيما بعد تعريب كتب اليونان، واختلاط الفلسفة بالعلوم الشرعية، ويُراد به شبه المتكلمين.

قال ابن عقيل الحنبلى: «القوم كانوا ينهون عن الجدال، والجدال شبه المتكلمين»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يقولون فلان صاحب كلام ومتكلم إذا كان قد يتكلم بلا علم، ولهذا ذم السلف أهل الكلام، وكذلك الجدل إذا لم يكن الكلام بحجة صحيحة لم يك إلا جدلا محضًا»[٣].

الجدل القرآني:

ورد الجدل في القرآن على ثلاثة أوجه:

١. ما رد الله تعالى به الخصوم من الحجج والبراهين وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد وتقرير قواعد الملة مما جاء على ألسنة رسله وأنبيائه، وما ألهم الله به عباده الصالحين من

---

(١) الكافية في الجدل (ص١٩).

(٢) الاداب الشرعية (١/ ٢٠٤).

(٣) منهاج السنة (٢/ ٨٥).

قول بالحق ودفع للباطل، وهذا جدل بالحق.

٢. ما ورد في القرآن بطريق الحوار، والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع، والنظر للعظة والاعتبار أو الترجي والدعاء، ومن هذا القبيل جدل إبراهيم عليه السلام مع ربه حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٣. ما يأتي على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوى الباطلة التي حكاها القرآن الكريم وبين بطلانها وما تنطوى عليه من مفاسد، وهذا من الجدل الباطل كما قال تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

الجدل عند فلاسفة اليونان المتأخرين يطلق على معنيين:

١- القدرة على الاستدلال الصحيح.

٢- المراء المتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها والتفنن فى إيراد ما لا نفع فيه من البيانات الدقيقة[١].

والخلاصة: أن الجدل هو المفاوضة والمخاصمة بالكلام على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم.

وجه العلاقة بين الحوار والجدال:

١- وجود طرفين مختلفين يتبادلان الحديث بينهما.

٢- موضوع معين يختلفان عليه يسعيان للفصل فيه.

الفروق بين الحوار والجدال المذموم:

١. عدم وجود خصومة بين الطرفين فى الحوار، بخلاف الجدال فالخصومة فيه واضحة.

٢. الهدف والغاية في الحوار تختلف عنه فى الجدال؛ ففى الحوار قصد الوصول إلى الحق

---

(١) المعجم الفلسفى، للدكتور جميل صليبا (ص٣٩٣).

ظاهر، بينما فى الجدال لا يوجد هذا القصد، وإنما توجد رغبة فى التغلب على الخصم وإسكاته عند كلا الطرفين.

٢- المناظرة:

معنى المناظرة لغة: مشتقة من النظر، ومن الانتظار، ومن النظر بالبصيرة، ومن النظير[١].

وهى مفاعلة على بابها، فهى تقتضى طرفين كسائر أفعال المشاركة.

وهى بمعنى: «مقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر، أو كل منهما ينظر بمعنى الفكر، والفكر هو المؤدى إلى علم أو غلبة ظن»[٢].

معنى المناظرة اصطلاحًا: «هى محاورة فى الكلام بين شخصين مختلفين، يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما فى ظهور الحق»[٣].

وقد يكون الحوار بين فريقين، يعرض كل فريق منهما أدلته التى رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ كل طرف من تبصر الحقيقة من خلال الانتقادات التي يوجهها الطرف الآخر على أدلته، أو من خلال الأدلة التى يظهر له بها بعض النقاط الغامضة عليه.

وبذلك يتضح الهدف الأصيل من المناظرة وهو: تعاون الشخصين المتناظرين أو الفريقين المختلفين فى معرفة الحقيقة والتوصل إليها.

وعلى هذا فالمناظرة ممدوحة وقريبة من الحوار، إلا أن المناظرة أدل فى النظر والتفكير، كما أن الحوار أدل فى مراجعة الكلام وتداوله.

والنظر نوعان: طلبي، واستدلالي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النظر تجريد العقل عن

---

(١) التعريفات (ص٢٩٨)، البحر المحيط (١/ ٤٢)، مجموع الفتاوى (٢/ ٤٣٠).

(٢) لسان العرب (٦/ ٤٤٦٦)، آداب البحث والمناظرة القسم الثانى، الشيخ محمد الأمين الشنقيطى (ص٣)، دار ابن تيمية بالقاهرة.

(٣) آداب البحث والمناظرة (٢/ ٣)، ضوابط المعرفة وأصول الإستدلال – الشيخ عبد الرحمن حبنكة- (ص٣٧١)، دار القلم

الغفلات، وقيل: هو تحديق العقل نحو المرئى. والأول: هو النظر الطلبي، وهو طلب ما يدله على الحق، والثاني: هو النظر الاستدلالي، وهو النظر في الدليل الذي يوصله إلى الحق، وهذا الثاني هو الذي يوجب العلم».

وتطلق المناظرة أحيانًا على معنى استخراج مذهب وأدلة المخالف، قال ابن الأثير الجزري: «ويقال للمناظرة مماراة لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، كما يمتري الحالب اللبن من الضرع».

وتأتي المناظرة بمعنى المجادلة المحمودة وهو استخراج الصواب، قال العلامة صديق حسن خان: «ولا يبعد أن يقال إن علم الجدل هو علم المناظرة لأن المآل منهما واحد».

الفرق بين المناظرة والجدل:

وهناك فروق بين المجادلة بنوعيها المحمود والمذموم وبين المناظرة، منها أن الجدل احتجاج باللسان أما النظر فقد يكون بالفكر بالقلب والعقل.

وهناك فرق آخر وهو أنه يصح النظر من طرف واحد، أما الجدل فلا يصح إلا بين اثنين، قال الخطيب البغدادي: «ولا يصح الجدل إلا من اثنين ويصح النظر من واحد».

وهناك فرق ثالث وهو باعتبار القصد والنية، فالمقصود من المناظرة هو ظهور الحق في المطلوب، أما مقصود المجادلة المذمومة فهو رجوع الخصم إلى قول المجادل.

٣- المحاجة:

تعريفه لغة: لفظ يطلق على التخاصم والجدال، ويقال رجل محجاج أي جدل، والتحاج: التخاصم[١] والحجج: القصد والكف والقدوم والغلبة بالحجة وكثرة الاختلاف والتردد[٢] بخلاف الحجة التي هي البرهان، تقول حاجه محجة أي غلبه بالحجة،

---

(١) لسان العرب (٢/ ٢٢٦- ٢٢٨).

(٢) القاموس المحيط (١/ ١٨٨) بتصرف

وفي المثل «لج فحج»[١]. والصحيح أن الحجة هي: ما دُوفع به الخصم.

وبمعنى آخر هي: «الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وإنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد»[٢].

وقد جاء في القرآن لفظ الحجة أو التحاج عشرين مرة، أطلق بمعنيين:

الأول: التخاصم والجدال كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر: ٤٧].

الثاني: البرهان أو ما دفع به الخصم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾ [الشورى: ١٦].

كذا جاءت في السنة بالمعنى الأول في بعض المواضع كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى**»[٣]،

وحديث: «**تحاجت الجنة والنار**»[٤].

---

(١) مختار الصحاح (١/ ٣٠٤).

(٢) لسان العرب (٢/ ٢٢٨).

(٣) صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب وفاة موسى عليه السلام رقم (٣٤٠٩)، (٢/ ١٠٥٨)، والتفسير والقدر والتوحيد، ومسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام رقم (٢٦٥٢)، الترمذي كتاب القدر رقم (٢٢٨١)، وأبو داود في السنة رقم (٤٧٠٣)، وابن ماجة في المقدمة رقم (٨٤).

(٤) صحيح البخاري كتاب التفسير باب وتقول هل من مزيد، رقم (٤٨٥٠)، (١٦/ ١٥٤)، مسلم كتاب =

وجاءت بالمعنى الثاني في مواضع كما في حديث: «**والقرآن حجة لك أو عليك**»[١]، وقوله في الحديث «**فحج آدم موسى**»[٢]. أي غلبه بالحجة والبرهان.

فتبين أن المحاجة تطلق لغة وشرعا على التخاصم والجدال وهي عندئذ مذمومة.

وتطلق على البرهان والدليل وما يرد به على الخصم، فإن كانت حقا وصحيحة فهي ممدوحة مطلوبة كما في قوله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ** ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وإن كانت بالباطل فهي مذمومة كما في قوله تعالى: ﴿ **حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾ [الشورى: ١٦].

والغالب على استخدامها الذم إذ القصد منها دفع الخصم ورده لا لبيان الحق. وهى تشترك مع الحوار في أنها مراجعة في الكلام ومداولة له بين طرفين فتدخل معه من هذه الجهة، ثم تفترق عنه في دلالتها على المخاصمة والمنازعة.

٤- المخاصمة:

تعريفها لغة: «الخُصومَةُ الجَدَلُ خاصَمَه خِصامًا ومُخاصَمَةً فَخَصَمَهُ يَخْصِمهُ خَصْمًا غلبه بالحجة، والخُصومَةُ الاسم من التَّخاصُمِ والاخْتِصامِ، والخَصْمُ معروف، واخْتَصَمَ القومُ وتَخاصَموا وخَصْمُكَ الذي يُخاصِمُكَ وجمعه خُصُومٌ، ويقال خَصَمْتُ فلانًا غلبته فيما خاصَمْتُهُ، والخُصُومَةُ مصدر خُصَمْتُه إذا غلبته في الخِصام يقال خَصَمْته خِصامًا وخُصُومَةً»[٣].

قال ابن فارس: «خصم، الخاء والصاد والميم أصلان: أحدهما المنازعة.

=

الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها ضعفاء الناس، رقم (٢٨٦٤).

(١) مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء رقم (٢٢٣)، الترمذي كتاب الدعوات رقم (٣٨٥٩)، النسائي كتاب الزكاة رقم (٢٤٤٩)، وابن ماجة في الطهارة وسننها رقم (٢٩٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لسان العرب (١٢/ ١٨٠) مادة خصم.

والثاني جانب وعاء[١].

يقال للمتاع إذا وقع في جانب الوِعاء من خُرْج أَو جُوالِقٍ أَو عَيْبَةٍ قد وقع في خُصْمِ الوِعاءِ وفي زاوية الوعاء.

فالأول الخصم الذي يُخاصم».

والخصومة في الشرع نوعان: أ. محمودة ويدلنا عليها ما ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت**»[٢].

ب. مذمومة كما في قوله تعالى: ﴿ **بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾ [الزخرف: ٥٨].

تعريفها اصطلاحا: الجدل والاختلاف بالقول.

وفي لسان السلف تطلق الخصومة على الجدال بطريقة المتكلمين، وهم يُسمون بأهل الخصومات. وقال الإمام أحمد بن حنبل في وصف الجهم بن صفوان[٣]: «وكان صاحب خصومات وكلام»[٤].

٥- اللجاج:

قال ابن فارس: «لج اللام والجيم أصل صحيح يدل على تردد الشيء بعضه على بعض، وترديد

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٨٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب التهجد باب التهجد بالليل رقم (١١٢٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه رقم (٧٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) الجهم بن صفوان: إليه تنتسب الجهمية، وهو من أهل خراسان ومولى لبني راسب، تتلمذ على الجعد بن درهم وكان كاتبًا للحارث بن سريح، الذي أثار الفتن ضد الدولة الأموية في خراسان، وكان جهم يقرأ سيرته ويدعو إلى توليته، ويحرض الناس على الخروج معه وفي سنة ١٢٨هـ وقعت معركة بين جيش أمير خراسان -نصر بن سيار- وجيش الحارث بن سريح، وكان جهم بن صفوان في جيش الحارث، فطعنه رجل في فمه فقتله، وقيل بل أسر وأوقف بين يدي سلم بن أحوز، فأمر بقتله

(٤) الرد على الجهمية والزنادقة (ص١٩).

الشيء، ومن ذلك اللجاج»[١]. واللجاج الذي يلجلج في كلامه لا يُعرف، واللجة: الجلبة.

وقال ابن حزم: «اللجاج هو ما كان على الباطل، أو ما فعله الفاعل نصرًا لما نشب فيه، وقد لاح له فساده، أو لم يلح له صوابه ولا فساده»[٢].

وقال المناوي: «اللجاج التمادي في العناد، تعاطي الفعل المزجور عنه، ومنه لجة البحر: تردد أمواجه»[٣].

واللجلجة: التردد في الكلام وفي ابتلاع الطعام.

الخلاصة: أن اللجاج يحمل معاني مذمومة، وهو يدل على عناد وإصرار على باطل، وجهل مع رفع الصوت، والخروج عن حد الاعتدال.

٦- المماراة:

قال ابن فارس: «المراء مما يتمارى فيه الرجلان من هذا، لأنه كلام فيه بعض الشدة، ويقال: ماراه مراء ومماراة»[٤]. ومما شذ منهما المرية: الشك.

وورد المراء في الشريعة على معنى المراجعة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا** ﴾ [الكهف: ٢٢].

وورد المراء في الشريعة على معني الجدال بالظنون الكاذبة والتخرصات الباطلة، قال تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ** ﴾ [مريم: ٣٤].

قال ابن الأثير: «المماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة».

والمراء يُطلق ويُراد به الجدال، إلا أنه غلب استعماله في اصطلاح الأئمة على الجدال المذموم، فاستعمله بعض أهل العلم علي الجدال بالباطل وعن الباطل، وقال أبو بكر بن

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٢٠١).

(٢) مداواة النفوس لابن حزم (ص٤٩).

(٣)التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص٦١٧-٦١٨).

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣١٤).

العربي: «أما المراء فهي المجادلة فيما تعلم أنه باطل، أو على معنى البدعة»[١].

واستعمله بعض العلماء فيمن فسد قصده وغرضه من الجدال.

قال أبو حامد الغزالي: «المراء طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة»[٢].

وقال ابن مفلح[٣]:«المراء استخراج غضب المجادل»[٤].

وقال ابن وزير[٥]: «المراء وهو ما يغلب على الظن أنه يُهيّج الشر ولا يقصد به صاحبه إلا حظ نفسه في غلبة الخصوم»[٦].

وهناك ألفاظ أخري لها اشتراك في جزء من المعني مع المحاورة ليس هذا البحث مجال تفصيلها حتى لا يطول بنا البحث كالألفاظ الآتية على سبيل المثال:

المناقشة، المساءلة، المكابرة، المعاندة، المنازعة، المماحكة وغيرها.

ثالثًا: معنى القرآن

أ. تعريفه لغة:

هو لفظ مأخوذ من قرأ، تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها على بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧-١٨].

---

(١) قانون التأويل (ص٦٧٥).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١١٥).

(٣) محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح أكمل الدين بن الشرف بن شمس الدمشقي الصالحي الحنبلي الراميني فقيه حنبلي أصولي ولد ببيت المقدس ٧٠٨هـ - ت٧٦٣هـ بدمشق

(٤) أصول الفقه (٣/ ١٤١٦).

(٥) عبد الله بن محمد بن سيدراي بن عبد الوهاب بن وزير القيسي، من أمراء المغرب، (ت: ٦٢٧هـ) الأعلام للزركلي (٤/ ١٢٤).

(٦) العواصم من القواصم (٣/ ٣٣٨) .

أي قراءته، فهو مصدر على وزن فُعلان بضم أوله كالغفران والشكران، تقول قرأته قُرءًا وقِراءةً وقرآنًا، بمعنى واحد سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر.

وقد خُص القرآن بالكتاب المنزل على النبي محمد ﷺ فصار له كالعلم الشخصي.

وقد ذكر شيخنا المفضال الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة في كتابه الإحسان في مباحث من علوم القرآن ستة أقوال في تعريف لفظة «القرآن»[1] وهي:

١. هو مصدر لـ«قرأت» كالرجحان والغفران سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر، قال بهذا علماؤنا كاللحياني والزرقاني وغزلان ورجحه أستاذنا الجليل الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة حفظه الله تعالى.

٢. قالت طائفة منهم الزجاج: «هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض أي جمعته».

٣. قال الإمام الزركشي: «قال بعض المتأخرين: القرآن مادته «قرأ» بمعنى أظهر وبين لا بمعنى جمع للمغايرة في الآية ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾».

٤. قال الزركشي والبيهقي والواحدي: قال الإمام الشافعي: «هو اسم لكتاب الله تعالى غير مهموز». يعني أنه اسم علم غير مشتق، كما قاله جماعة من الأئمة.

٥. قال الإمام البيهقي: «وذهب آخرون إلي أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه فسمي بذلك لقِران السور والآيات والحروف فيه، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة قِران، قال: وإلى هذا المعني ذهب الإمام الأشعري».

٦. قال الإمام السيوطي في الإتقان: «وقال الفراء: هو مشتق من القرائن لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا، ويشابه بعضها بعضا وهي قرائن».

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته، لذا صح إطلاق اسم

---

(١) الإحسان في مباحث من علوم القرآن للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة (ص٢٠: ٢٩) بتصرف.

القرآن على كل آية من آياته، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

مع أن الذي استمعوه بعض القرآن فقط، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

«لكن العلماء اختلفوا فقيل إن لفظ قرآن حقيقة في كل منهما وإذن يكون مشتركا لفظيا، وقيل هو موضوع للقدر المشترك بينهما وإذن يكون مشتركا معنويا ويكون مدلوله حينئذ كليا.

وقد يقال إن إطلاقه على الكل حقيقة وعلى البعض مجاز.

والتحقيق أنه مشترك لفظي بدليل التبادر عند إطلاق اللفظ على الكل وعلى البعض كليهما والتبادر أمارة الحقيقة.

والقول بعلمية الشخص فيه يمنع أنه مشترك معنوي فتعين أن يكون مشتركا لفظيا.

وهو ما يفهم من كلام الفقهاء إذ قالوا مثلا يحرم قراءة القرآن على الجنب فإنهم يقصدون حرمة قراءته كله أو بعضه على السواء»[1].

وخص القرآن بهذا الاسم من بين الكتب المنزلة من عند الله لكونه جامعًا لما فيها، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، ولذا قال عنه تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢].

---

(١) مناهل العرفان (١/ ١٧).

ب. تعريفه اصطلاحًا:

يتعذر تحديد القرآن بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، بحيث يكون تعريفه حدا حقيقيا، والحد الحقيقي له هو استحضاره معهودًا في الذهن أو مشاهدًا بالحس كأن تشير إليه مكتوبًا في المصحف أو مقروءا باللسان.

وقد ذكر له العلماء تعريفا يقرب معناه ويميزه عن غيره، فعرفوه بأنه:

«كلام الله، المنزل على رسوله محمد ﷺ، المعجز بسورة منه، المتعبد بتلاوته، المثبت في المصاحف من أول سورة الفاتحة حتى سورة الناس، المنقول إلينا متواترًا»[1].

شرح التعريف:

فـ«الكلام» جنس في التعريف، يشمل كل كلام، وإضافته إلى «الله» يُخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

و«المنزل» يُخرج كلام الله الذي استأثر به تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

وتقييد المنزّل بكونه «على سيدنا محمد» يُخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما.

و«المعجز» أصل الإعجاز هو إثبات العجز ثم انتقل إلى المعنى المجازي وهو إظهار عجز المرسل إليهم ثم انتقل إلى لازم هذا المجاز وهو إظهار صدق النبي ﷺ وهو المراد هنا من الإعجاز.

وقد ذكر علماؤنا كلاما نفيسا عن إعجازه، من ذلك قول صاحب إعجاز القرآن:

---

(١) الوجيز في أصول الفقه للدكتور / عبد الكريم زيدان (ص١٥٢) طبعة مؤسسة الرسالة .

«فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد، وإن كان قد يعلم بعجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثله وجه دلالته، فيغني ذلك عن نظر مجدد في عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله، وكذلك قد يغنى عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله عن النظر في حال أهل العصر الأول»[١].

وقال الأستاذ الجليل الزرقاني: «والتقدير وهو أن القرآن الكريم في طريقة عرضه للهداية والإعجاز على الخلق قد حاكم الناس إلى عقولهم وفتح عيونهم إلى الكون وما في الكون من سماء وأرض وبر وبحر وحيوان ونبات وخصائص وظواهر ونواميس وسنن، وكان القرآن في طريقة عرضه هذه موفقا كل التوفيق بل كان معجزا أبهر الإعجاز لأن حديثه عن تلك الكونيات كان حديث العليم بأسرارها الخبير بدقائقها المحيط بعلومها ومعارفها، على حين أن هذا الذي جاء بالقرآن رجل أمي نشأ في أمة أمية جاهلة لا صلة لها بتلك العلوم وتدوينها ولا إلمام لها بكتبها ومباحثها، بل إن بعض تلك العلوم لم ينشأ إلا بعد عهد النبوة ومهبط الوحي بقرون وأجيال.

فأنى يكون لرجل أمي كالنبي محمد ﷺ ذلك السجل الجامع لتلك المعارف كلها إن لم يكن تلقاه من لدن حكيم عليم قال سبحانه مقررا لهذا الإعجاز العلمي: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨-٤٩]»[٢].

قال الإمام الزركشي: «كان سهل بن عبد الله يقول لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه لأنه كلام الله وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه، وكلام الله غير

(١) إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن القاسم (١/ ٨).
(٢) مناهل العرفان (١/ ١٩).

مخلوق ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثه مخلوقة»[١].

«بسورة منه» يدل إطلاقها على صدقها على أي سورة كانت من أقصر سورة كالكوثر إلى أطولها، ويدل عمومها على اندراج كل فرد من أفراد السور تحت هذا العموم.

و«المتعبد بتلاوته» يُخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية -إن قلنا إنها منزّلة من عند الله بألفاظها- لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك، وقيل هذا القيد حكم والحكم لا يدخل في التعريف وكما قال صاحب السلم[٢]:

وعندهم من جملة المردود أن تدخل الأحكام في الحدود

لكنه يجوز ذكره لمجرد التمييز.

و«المثبت في المصاحف» وهذا القيد وُضع لبيان واقع أمر القرآن، والمقصود من المصحف: المصحف الإمام وما نسخ منه على يد عثمان بن عفان ﷺ.

«من أول سورة الفاتحة حتى سورة الناس» هو بمثابة الإشارة الصريحة لهذا القرآن.

«المنقول إلينا متواترًا» قيد خرج به ما لم ينقل إلينا من الكلام المنزل للإعجاز بأن يكون نقله أحاديًا، كمنسوخ التلاوة إذا بلغ ثلاث آيات وهو القدر المعجز إذا كانت روايته أحادية صحيحة أو حسنة.

وقيل يخرج بهذا القيد ما نقل أحادًا من القراءات الشاذة، والراجح أن كلا الأمرين خرج بقيد الإعجاز، وإنما وُضع هذا القيد لبيان واقع أمر القرآن.

رابعا: معنى أصحاب الحضارات

تعريف أصحاب: قال: «صَحِبَه يَصْحَبُه صُحْبة بالضم وصَحابة بالفتح وصاحبه عاشره والصَّحْب جمع الصاحب مثل راكب وركب والأَصْحاب جماعة الصَّحْب»[٣].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٥).

(٢) الرياشي، عيون الأخبار، (١/ ٣٠٧)، تهذيب اللغات (٤/ ١١٧).

(٣) لسان العرب (١/ ٥١٩) مادة صحب.

الأَصْحاب وهو في الأَصل مصدر وجمع كلمة صاحب وقد تجمع على صحبة، وصحبان، وأصاحيب، «وكل ما لازم شيئًا فقد استصحبه قال:

إِنّ لـــك الفَـــضْلَ عـــلى صُـــحْبَتي والمِـــسْكُ قـــدْ يَسْتَـــصْحِبُ الرّامِكـــا

الرامِك نوع من الطيب رديء خسيس»[(١)].

وقيل: الصاحب الذي يحفظ ويمنع صاحبه، وفي الحديث[(٢)]: «**اللهم اصْحَبْنا بِصُحْبَةٍ واقلِبْنا بذمة**» أَي احفظنا بحفظك في سَفَرنا وأَرجِعنا بأَمانتك وعَهْدِك إِلى بلدنا، وفي التنزيل: ﴿**وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ**﴾ [الأنبياء: ٤٣] أي يمنعون[(٣)].

التعريف المقترح للصاحب: هو الملازم الذي يحفظ من لازمه ويمنعه مما يسوءه.

تعريف الحضارة لغة:

من كلمة الحضور وهو ضد الغيبة والحضارة ضد البداوة وهذا المعنى القديم الذي كانت العرب تفهمه، وقال: «والحَضَرُ والحَضْرَةُ والحاضِرَة خلاف البادية وهي المُدُنُ والقُرَى والرِّيفُ سميت بذلك لأَن أَهلها حَضَرُوا الأَمصارَ ومَساكِنَ الديار التي يكون لهم بها قَرارٌ»[(٤)].

وقال: «الحِضارَةُ الإِقامة في الحَضَرِ، وفي الحديث[(٥)]: «**لا يَبِعْ حاضِرٌ لِبادٍ**» الحاضر المقيم في المُدُنِ والقُرَى، والبادي المقيم بالبادية.

---

(١) المرجع السابق (١/ ٥١٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الجهاد باب وأما حديث عبد الله بين يزيد الأنصاري رقم (٢٤٣٩)، (٦/ ٩١)، من حديث أبي هريرة ﷺ وأخرجه أيضًا: أبو داود (٣/ ٣٣)، رقم (٢٥٩٨)، والترمذى (٥/ ٤٩٧)، رقم (٣٤٣٨) وقال: حسن غريب. والنسائى (٨/ ٢٧٣)، رقم (٥٥٠١).

(٣) لسان العرب (١/ ٥١٩).

(٤) المرجع السابق (٤/ ١٩٦) مادة حضر.

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة باب ما لايجوز من الشروط في النكاح، رقم (٣٨٩٩)، (٢/ ٩٧٠)، ومسلم في صحيحه عنه كتاب البيوع باب تحريم بيع الحاضر للباد، رقم (١٤١٣)، (٣/ ٩٣٥)، وعن جابر، رقم (٣٩٠٢)، ورواه عنه أبو داوود رقم (٣٤٤٤)، ومسند أحمد، ورواه عبد الرزاق في مصنفه، والطبراني في الكبير وغيرهم.

ويقال للمقيم على الماء حاضرٌ وجمعه حُضُورٌ وهو ضدّ المسافر.

يقول الشاعر عمير بن شييم القطامي:

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا[١]

وهذا المعنى الأخير للحضارة أصبح يعني التمدن بما تحمله الكلمة من شحنة تعني الصناعة والنظام الاجتماعي والسياسي، وقيل الحضارة حركة وحياة.

تعريف الحضارة اصطلاحا:

عرفها ابن خلدون[٢] في مقدمته فقال: «الحضارة إنما هي تفنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف وما تتلون به من العوائد». ويرى ابن خلدون أن الحضارة غاية العمران.

وفي العصور الحديثة جاءت كلمة الحضارة ترجمة لكلمة **civilization** الغربية وهي تعني التمدن والثقافة والحضارة.

ويرى جورج باستيد الفرنسي أنها التدخل الإيجابي لمواجهة إفرازات الطبيعة تجاوبا مع رغبة المتمرد في الإنسان وتحقيقا لمزيد من اليسر في إرضاء حاجاته وتقليل عنائه.

وعرفها مالك بن نبي[٣]: «هي المنتجات المادية والقيم والتشريعات والأفكار»[٤].

التعريف المقترح للحضارة: «هي كل تجمع بشري استطاع الانتفاع بطاقاته وإمكاناته وتطويرها ونشرها لتحقيق احتياجاته. وعلى قدر عظم التجمع يكون شأنه في الحضارة».

---

(١) لسان العرب (٤/ ١٩٦).

(٢) ابن خلدون: قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد الحضرمي الأشهيلي صاحب كتاب تاريخ بن خلدون وقد اشتهرت مقدمته، ولد٧٣٢هـ: ت: ٨٠٨هـ.

(٣) مالك بن نبي: مفكر جزائري معروف ولد بقسنطينة بالجزائر ١٩٠٥م- ١٣٢٣هـ، ت: ١٣٩٣هـ، له عدة مؤلفات باللغتين العربية والفرنسية كشروط النهضة ومشكلة الثقافة وغيرها.

(٤) شروط النهضة لمالك بن نبي (ص٤٢).

تعريف أصحاب الحضارات:

التعريف المقترح: «هم أهل كل تجمع بشري استفادوا بطاقاتهم في تحقيق رغباتهم».

فعاد أصحاب حضارة وثمود والفراعنة وقريش وأهل الكتاب وغيرهم أصحاب حضارات، إلا أن جل هذه الحضارات قامت على المادة وتوفير احتياجات الإنسان المادية، وتعظم الحضارة بعظم ما توفر للإنسان من احتياجاته.

الإسلام والحضارة:

لقد جاء الإسلام بمعنى جديد للحضارة يتعلق بالإنسان نفسه لا باحتياجاته المادية وحدها، فالحضارة تعنى السمو بالإنسان نفسه فهو عبد لرب ليس له من نفسه شيء ولله منه كل شيء، والله تعالى كلفه أن يبذل ما في وسعه من طاقة وأن يجاهد في الله حق جهاده لعمار هذا الكون وإصلاح أهله حتى يعمل الجميع على عمار هذه الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١].

ومن ها هنا تباينت الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات في أمور منها:

١. الإنسان في الحضارات المادية يعمل من أجل تحقيق احتياجاته المادية، ومن الناس من عظمت طموحاته ومنهم من قلّت أو كادت تنعدم طموحاته، والنتيجة انحصرت طموحاتهم في احتياجاتهم الدنيوية، والدنيا تقوم بالقليل والكثير، فالغني والفقير كلاهما يحيا بما عنده، والإسلام ألزم الناس بالسعي لأعظم ما يُسعى إليه خيري الدنيا والآخرة جميعا، ولله در الربعي بن عامر ﷺ حين سأله رستم قائد جيش الفرس: لماذا جئتم؟ فأجابه: «لقد ابتعثنا الله بدين لنخرج به العباد من عبادة العباد إلي عبادة رب العباد ومن جور الأديان[١] إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»[٢].

---

(١) لعله أراد بجور الأديان أي المنسوبة للبشر أو التي اعتراها تحريف من البشر رغم أن أصلها سماوية.

(٢) موسوعة البحوث والمقالات العلمية (ص١).

٢. لقد ترتب على طموحات الناس بذلٌ منهم وعملٌ لتحقيقها ولكن شتان بين بذل من يريد متع الدنيا فيتوقف بذله وعمله عند تحققها ليستمتع بها أو قد يصبح البذل عنده غاية فلا يستمتع بها أبدا، أو قد يصبح جمعها هو الغاية فيظل يجمعها حتى الموت وينتفع بها غيره ويبيع هو دنياه وآخرته بدنيا غيره، فبذله محدود بمدى احتياجه فهو قليل البذل لضعف احتياجاته وينتهي البذل بتحققها، فهو صاحب طاقة عطل جلها، وأعمار ضيع جلها، أما المسلم فأمره كله قصدا فهو مطالب ببذل أقصى الجهد وإفراغ الوسع طاعة للرب ولعمارة الأرض ولإصلاح الخلق ولسلامة آخرته، فجهده لا يتوقف على تحقيق احتياجاته، بل يستمر عطاؤه طيلة حياته وبكل طاقاته، لذا نعجب أشد العجب من الصحابة رضوان الله عليهم حين استوعبوا الإسلام فبذلوا غاية الجهد لله فانظر على سبيل المثال كيف فرغوا من حفر الخندق بعرض المدينة من اللابة الشرقية إلى الغربية بشبه معجزة في ستة أيام فقط وبإمكاناتهم المادية المحدودة، بل تزداد عجبا حين تدرس سيرة كل صحابي منهم فترى عطاء لا يكاد يحد في عمر في الإسلام محدود.

٣. لقد تربى الكثير من أصحاب الحضارات على الأنانية وحب الذات والعمل من أجلها وحدها، بخلاف الإسلام الذي ربى أتباعه على الأخوة والمحبة مع غيرهم من البشر، فمن آمن منهم فهو مأمور بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأن يبذل الجهد لينفعه، وأما الكافر منهم فهو مأمور بإنقاذه من غياهب ظلمه وكفره بل مأمور بدعوته والصبر عليه ومجاهدته حتى يرى الحق بينا فيتبعه، وهل شرع الجهاد إلا لإنقاذه وتعليمه الحق ثم يخير فإن شاء أسلم وإن شاء استمر على كفره شريطة ألا يمنع المسلم من بيان الحق لغيره فيعاهد على ذلك، وإن تعنت فثم قوتل حتى يحال بينه وبين منعه الحق أن يصل إلى غيره.

٤. إن ما نشأ فيه الكثير من أصحاب الحضارات من الأنانية وحب الذات وتعارض الطموحات وقلة الحاجات التي هى مطامع الناس، كل ذلك وغيره أوقع الناس في ظلمهم للناس، وجاء الإسلام ليضع حدا لاحتياجات الناس فأحل الله لهم الحلال منها مما هم أهله ومستحقوه وحرمه على غيرهم حتى لا تبقى من حاجات الدنيا حاجة إلا ولها صاحبها التي تحل له وتحرم على غيره، فلا يبغي ولا يظلم بعضهم بعضا.

٥. لقد اهتم الإسلام بالإنسان نفسه فنظم له حياته كلها في كل نواحيها السياسية والاقتصادية والمالية والإدارية والتربوية والتشريعية والمادية وغيرها بما يضمن له سلامة دنياه ونجاته في آخرته، بخلاف الحضارات المادية التي جعلت هدفها ونظمها قائمة على توفير احتياجاته المادية فصار البطل الذي يوفر لنفسه ولمن معه من أهل حاضرته وحضارته أكبر قدر من المادة ولو سلبًا ونهبا وسرقة من أصحاب الحضارات الأخرى ولذا لا تكاد تقوم عند الناس حضارة إلا على أنقاض حضارة أخرى على مر التاريخ كله.

٦. إن الإسلام هو الحضارة يعرف ذلك كل من عرف الإسلام حتى من غير المسلمين، يقول يوكسيل سيزيقين: «إن الإسلام ليس الدين فحسب بالمعنى الغربي الضيق بل هو الحضارة برمتها التي نمت»، ويقول برنارد لويس[1]: «إن الإسلام بالنسبة للمسلمين ليس مجرد منظومة العقيدة والعبادة أو ركنا مستقلا من أركان الحياة في مجمله وأحكامه تشمل القانون المدنى والجنائي وحتى الدستورى»، بل جل الحضارات التي نشأت بعد الإسلام قامت على أصول وقواعد أخذت منه، ومن ذلك الحضارة الغربية الحديثة، فأوربا التي عاشت قرونا تحت وطأة الجهل والتخلف في وقت كان العالم الإسلامي في قمة الحضارة والتقدم، فلما تفتحت عيون الغرب على التراث الإسلامي المتنوع في بلاد الأندلس وغيرها، فكان لهذا التراث دوره الكبير في تشكيل التفكير العلمي في كل مجالاته لديهم، كما أن للآداب العربية والإسلامية دورا ملموسا في تكوين وترقي الآداب عندهم، عن طريق النهضة الترجمية التي اهتمت بنقل كنوز الفكر الإسلامى والعربي إلى لغاتهم المختلفة.

(١) برناد لويس مستشرق أمريكي يهودي أستاذ بجامعة برنستون الولايات المتحدة الأمريكية.

خامسا: تاريخ التحاور وسنة الخالق مع أصحاب الحضارات:

لقد نشأ الحوار مع نشأة البشرية أي خلق آدم وحواء فكان لابد لهم من لغة يتفاهمون بها فكانت لغة الحوار، ومثال ذلك حضور آدم حوار الملائكة وإبليس مع الرب تعالى في شأنه، وحوار الرب معه وزوجه في أكلهما من الشجرة بعد أن حذرا من إغواء الشيطان لهما، وحوار ولدي آدم بشأن القربان الذي تقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، ثم ازدادت الحاجة إلي لغة الحوار مع ازدياد النسل البشري، ثم تبلورت وصار لها أصولها وآدابها وسماتها وموضوعاتها وأساليبها ووسائلها وغيرها، بل إنها ما وصلت إلي ما وصلت إليه إلا بعد المرور بمراحل تاريخية نختم بها هذا التمهيد ثم نبين في صلب الرسالة أصول الحوار مع أصحاب الحضارات وآدابه وسماته وموضوعاته وأساليبه ووسائله على ضوء القرآن الكريم.

هذا وقد مر تاريخ أصحاب الحضارات بمراحل وهي:

(١) ما قبل نبي الله إبراهيم عليه السلام.

لقد كانت النبوة قبل نبي الله إبراهيم عليه السلام منتشرة بين الأمم والقبائل، وكان كل نبي يبعث من القوم إليهم وبلسانهم حتى يعوا عنه، ويحاورهم بكل ما جاءهم به من عند ربهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وما من أمة ولا قرية إلا وبعث لها نبي أو نذير، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦]. ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ [فاطر: ٢٤]، بل من القرى من أرسل إليهم اثنين أو ثلاثة من الأنبياء كقرية أصحاب يس، من قال عنهم تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴾ [يس: ١٣-١٤].

وكانت نتيجة تكذيبهم الرسل وتماديهم في الإفساد واستمرارهم في الظلم والبغي وعدوانهم على الأنبياء ومن آمنوا معهم أن جعل الله تعالى لكل قبيلة موعدا ونهاية أخذوا

واستأصلوا عندها كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يونس: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ [السجدة: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٣١].

وقد بين تعالى بعض أسباب إهلاكهم والتي منها:

أ. ظلمهم، وعنه قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠].

ب. كفرهم بالرسل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم: ٩].

ج. تكذيبهم للرسل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤]، وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ [ص: ١٢-١٤].

د. جحودهم باليوم الآخر وعدم رجاء ما فيه من نعيم مقيم، وعن ذلك قال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَالَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٨-٤٠].

هـ. صدهم عن سبيل الله، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

و. استكبارهم في الأرض، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلّٗا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١].

ز. إعراضهم عن دين الله وحملته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [ق: ١٢-١٤].

ح. إجرامهم، وعنه قال تعالى: ﴿ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٧].

ط. كثرة إفسادهم، وعن ذلك قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ

ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝٦ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: ٦-١٤].

ى. فسقهم، وعنه قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [آل عمران: ١٩٦].

ك. جدلهم في آيات الله، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [غافر: ٤].

ل. سعيهم في قتل أنبيائهم، وعنه قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

م. شدة بطشهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق: ٣٦].

وغيرها من الآيات الدالة على مُضي سنة الله فيهم بالإهلاك والإبادة، ونستطيع أن نلخص صور التعامل التي بها عُوملوا فيما يلي:

١. إسباغ النعم وسلامة الفطر.
٢. نكران النعم والظلم فيها والعدوان.
٣. إرسال الرسل بالبينات.
٤. الكفر بالحق والرسالات التي سيقت لإنقاذهم.
٥. حِلم الله عنهم وبسط الدنيا لهم.
٦. تجاوز الحد في الطغيان.
٧. نزول عذاب التذكير بهم.
٨. عدم استكانتهم وعدم تضرعهم.

٩. نزول عذاب التدمير بهم.

١٠. عذاب الآخرة.

ثم تغيرت بعض السنن الربانية ببعثة نبي الله إبراهيم عليه السلام وهي المرحلة الثانية.

(٢) ما بعد نبي الله إبراهيم عليه السلام.

لقد طلب نبي الله إبراهيم من ربه جعل الإمامة والنبوة في ذريته فاستجاب له ربه وانحصرت النبوة بعده في ذريته، وفي هذا قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فقوله تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعني الاستجابة لدعائه شريطة ألا تكون النبوة والإمامة للظالمين من ذريته.

ولقد استمر عذاب الاستئصال فترة في الأمم والقرى بعد نبي الله إبراهيم حتى فرض الجهاد علي أهل الإيمان على يد نبي الله موسى عليه السلام وأصبح الدفاع عن الحق وعن أهله فريضة على المؤمنين وحتى يُؤمَن كل مؤمن على دينه ونفسه ونسله وعقله وماله بإقامة أحكام الله بين الناس ونشر عدله.

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقال تعالى عن تغير السنة الربانية على يد نبي الله موسي عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣].

وقال تعالى عن بدء فرضية الجهاد وتنفيذه عليه السلام لأمر الله تعالى له بذلك: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٤].

وقال تعالى عن استمرار تلك الفريضة فيمن بعده: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل: ٣٧].

(٣) بعثة النبي محمد ﷺ.

ثم ختمت برسالة النبي محمد ﷺ وهي القرآن الكريم والذي استمرت فيه فرضية المجاهدة على الأمة لأعداء الله دعوة لهم وهداية وحماية لحرية الاختيار التي فطر الله الإنسان عليها وكسر القيود والأغلال التي يكبل بها الجبارون المستضعفين من العباد وإزاحة الظلم عن الإنسان لتبقى كرامته وحريته طليقة من بغي القوة وطغيان الظلم بل إنقاذا للظالمين أنفسهم من الظلم والغفلة والغي، وبعد ذلك فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها، وعن هذا قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧]. ولقد حفظ الله هذه الأمة فلا تؤخذ بسنة عامة بل يعاقب البعض دون البعض لكنها لا تستأصل حتى قيام الساعة ولله الحمد والمنة.